فلسفة اللغة عند روسو

" The Language Philosophy of Rousseau "

(دراسة تحليلية مقارنة)

إعـداد

د. مسعد عطيه أحمد صقر

أستاذ مساعد

الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب – بنهـا

- ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ س البقرة من الآية 31
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ س إبراهيم من الآية 4
- ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{ 1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{ 2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{ 3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{5} ﴾ من سورة العلق الآيات من 1-5

﴿ ﷺ ﴾

مقدمة البحث

" المعرفة " Knowledge تعد من أسمى الغايات التى تستغرق فكر الإنسان وتستحوذ مشاعره وإرادته ، ولكى يؤكد على الأهمية القصوى لهذه الغاية ودورها فى حياته ، يبحث عن دور اللغة ذاته بشقيها الشفاهى والكتابى ، كما يفحص عن ماهية الكلام وماهية الكتابة ، وعلاقة كلاً منهما بالآخر ، وهل يتقدم أياً منهما على الآخر أم ينتظمان معاً لتحقيق التواصل وتشكيل المعرفة والعلم والخبرة ؟

لقد حاول الباحث فى إطار فلسفة اللغة – فحص ودراسة هذه العلاقات وتلك الأدوار من خلال تناوله لأحد مفكرى عصر التنوير فى فرنسا وهو الناقد والأديب والفيلسوف " جان جاك روسو " * Jean Jacques Rousseau . ومن أهم أهداف هذه الدراسة ما يلى :

---

* روسو " جان جاك " : سويسرى المولد، فرنسى الأصل والمنشأ–ولد عام 1712 تعليمه كان بسيطاً – دائم الترحال والتنقل – من صفاته الأخلاقية : الكذب والشك والكبرياء – رافض للعقل،ناقم على المدنية الغربية – عاطفى رومانسى خيالى – توفى عام 1778 فى باريس ، كتاباته كانت عبارة عن مقالات متناثرة ، من أهمها :

1- محاولة فى أصل اللغات عام 1749 Essay Sur L'origine des Langues
2- محاول فى أصل المؤسسات الإنسانية 1750 Trouver L'origine des Instition Humains
3- مقالات فى العلوم والآداب 1750 Discours sur les Sciences et les Arts
4- خطاب عن الموسيقى الفرنسية 1752
5- قصص : منها : (أ) أوبرا " عرّاف القرية " 1752
(ب) فى مسرحية" نرجس"[المحب لنفسه] Narcisse وهى مقدمة عن المسرح الفرنسى.
6- مقال فى أصل اللامساواة 1755 L'origine de l'inégalité
7- خطاب عن العناية الإلهية 1756 Providence .
8- خطاب إلى دالمبير 1758 عن العروض المسرحية .
9- جولى أو الهويزا الجديدة Nouvell Heloise
10- أميل أو" فى التربية 1762 Emile

1- الكشف عن ماهية اللغة وأصلها وتطورها ومدى ارتباطها بنشأة الجنس البشرى وتطوره الجسمى والعقلى والسيكولوجى والاجتماعى .

2- دراسة تأثير الطبيعة الفيزيائية أو الكونية والمناخية فى تكوين وتشكيل لغات الشعوب ولهجاتها ودلالة كل منها .

لقد استند الباحث فى دراسته إلى أحد مقالات " روسو " الهامة فى فلسفة اللغة وهى " محاولة فى أصل اللغات " ، ولم ينشر إلا بعد وفاته .

من ذلك تتبلور إشكالية البحث فى البرهان على أن الكلام والكتابة قطران عظيمان يلتقيان فى مركز دائرة واحدة هى اللغة .

أما عن المنهج الذى اتبعه الباحث للوصول لأهداف الدراسة فتمثل فى " المنهج التحليلى المقارن " ، وقد عُرض البحث فى مقدمة وفصلين وخاتمة .

الفصل الأول : تناول أوليات اللغة فى فكر روسو ، وتركز حول أصل اللغة – ظاهرة اللغة – حضور اللغة – علاقة الحرية باللغة – صلة النغم والموسيقى باللغة .

الفصل الثانى : فتركز حول فلسفة الكتابة بين روسو و دريدا ، وتضمن

- الكتابة كمعيار لتفعيل اللغة .
- تفكيكية "دريدا" للكتابة ورؤيته لها .

الباحث

11- العقد الاجتماعى Le Contrat Social 1762 12- الاعترافات Confessions 1772

- See : Grolier Academic Encyclopedia – U.S.A – 1986 – P.P. 325:327 .

- الموسوعة الفلسفية : د. عبد المنعم الحفنى – بيروت – دار بن زيدون – ب. ت – ط1 – ص.ص 216-217.

الفصل الأول

أوليات اللغة فى فكر روسو

مقدمـة

تناول روسو Rousseau اللغة بأسلوب موجز وطريقة واضحة اتسمت بالواقعية تارة ، وبالرومانسية تارة أخرى ، حيث تحدث عن دور اللغة كأساس للتفاهم والتفاعل بين الجنس البشرى ، من ثم وصفها بأنها اجتماعية ، لأن الإنسان مخلوق اجتماعى بطبعه .

وتحدث أيضاً عن العاطفة Passion وأثرها فى تكوين اللغة ، بل كأصل للغة ذاتها ، تليها الحاجات الإنسانية . كذلك كتب عن حضور اللغة ووجودها كظاهرة طبيعية وأداة تلقائية تنتشر فى كل مكان وزمان ما بقى الإنسان حياً . لذلك فهى تحتاج إلى حرية الانتشار ، فكلما كان الإنسان حراً كلما استطاع أن يتكلم وأن يكتب وأن يعبر عما يفكر فيه ، وعما يريده فى الحاضر أو المستقبل بل وعما أفرزه من فكر فى الماضى .

لقد حاول الباحث تحليل أفكار روسو كأوليات لفهم اللغة والكلام ، تتمثل فى سياق هذا الفصل ، وهما : أصل اللغة ، اللغة كظاهرة وأداة ، اللغة حضور فى الزمان والمكان ، والعلاقة بين اللغة والحرية ، العلاقة بين اللغة والنغم .

أولاً : أصل اللغة :

لقد فسر مفكرو وعلماء وفلاسفة اللغة فكرة " أصل اللغة " ونشأتها تفسيرات وتحليلات عديدة ، فمنها الفلسفية ومنها الدينية ومنها الأخلاقية ومنها العلمية ، تدور فى مجملها حول كونها توقيفية فطرية أو اصطلاحية مصطنعة ومكتسبة . ونجد تاريخ الفكر الفلسفى يؤكد على ذلك (ففريق تزعمه أفلاطون متأثراً بالمدرسة الأيونية مقرراً أن اللغة توقيف والهام إلهى ، وأن اللغة فطرة إنسانية لا تحكمها القوانين التى تخضع لها الظواهر والأشياء . وفريق آخر على

رأسه أرسطو رأى أن اللغة تواضع واصطلاح أى أنها نتيجة للاتفاق الذى ينبع من احتياج الجماعة الكلامية) [1]

ثم تابع علماء المسلمين والفرق الإسلامية نفس هذا الاتجاه فى تحليل أصل اللغة، فمنهم من انتهج طريقة التوقيف مثل الأشاعرة – مستنداً إلى القرآن الكريم ،. ومنهم من ذهب إلى أنها اصطلاح وتوقيف فى آن واحد مثل المعتزلة ، (فاتفق المعتزلة والأشاعرة على أن أسماء الله توقيفية وليست تواضعات إنسانية ... [إلا أن] المعتزلة يخالفونهم فيما يتعلق باللغات جميعاً ، إذ أنها عندهم اصطلاحية وصفاته إنسانية ..) [2]

وإذا انتقلنا إلى أحد مفكرى اللغة فى العصر الحالى وهو – يوسف الحاج – فى العصر الحاضر فقد ذهب إلى أن (اللغة توقيف ، والتوقيف غاية أصيلة، واللغة تستمد توقيفيتها من الحياة ذاتها ، أى من العمل ذاته ، إنها ليست واسطة بل غاية) [3] وقد استند فى ذلك إلى أن اللغة وجدان والوجدان جوهرة الوجود ، والوجود حضور ، من ثم فاللغة وجود جوهرى لوجود الإنسان.

استنتاجاً من ذلك يمكن القول بأن توقيف اللغة انقسم إلى منظورين :

الأول : منظور إلهام روحى وإلهى،وهبة إلهية أودعها الله فى الإنسان وفطره عليها ، الثانى : منظور عملى نبع من تفاعل البشرية مع بعضها كضرورة جوهرية وغاية حقيقية لا يمكن الاستغناء وتأكيد لوجود الإنسان .

أما عن أصل اللغة كاصطلاح ، فقد اتجه "چورجى زيدان " إلى أن (اللغة كما هو معلوم عُرضة للتغيير والانفعال نحتاً وإبدالاً وقلباً واستعارة ... وجملة القول ، أن اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية) [4]

---

[1] د. زينب عفيفى : فلسفة اللغة عند الفارابى – القاهرة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – 1997 – ص 144 ..

[2] نفس المرجع السابق : ص . ص 146 – 147 .

[3] كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة – بيروت – دار النشر للجامعيين – 1956 – ص 96 .

[1] چورجي زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية – القاهرة – دار الهلال – 1969 – ص 131 .

وقد استند فى ذلك إلى كلام " أبو اسحق الاسفرائى عن أصل اللغة : (" إن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتتمة من الله ") [1]

إذاً فتغيرات اللغة من حيث حروفها وألفاظها وجملها ودلالاتها وتبدلها وتنوعها وفق ظروف الزمان والمكان ووفق تغيرات المجتمعات ذاتها ، فى عاداتها وتقاليدها وقيمها وعرفها وكذلك حاجاتها ، كل هذا يدل دلالة واضحة – كما هو فى رأى چورجى زيدان – على اصطلاحية اللغة .

ويمكن البحث من جانب آخر عن أصل اللغة عند أحد مفكرى العصر الحديث وهو "روسو" – موضع البحث – ، حيث تركز فكره إلى أن " أصل اللغة ليس سببه حاجات البشر الأولى ، فمن غير المعقول أن ما يفرق بينهم هو ما يجمعهم . فمن أين يأتى إذاً هذا الأصل ؟ إنه من الحاجات الأخلاقية ، ومن العواطف From moral needs,Passion " [2] فالأهواء والعواطف والمشاعر الإنسانية فى تصور " روسو" هى التى تقرب الناس فيما بينهم ، وتدفعهم للعيش معاً فى محبة وإخاء . " فإذا ما أردنا التأثير على قلب شاب ، أو صد عدوان غادر ، فإن الطبيعة تفرض علينا نبرات وصرخات وأنات Accents,Cries,lamentations تلك هى أكثر الكلمات قدماً ، وذاك هو ما جعل اللغات الأولى أكثر شادية وعاطفية قبل أن تصبح بسيطة ومنهجية " [3] ، من ثم فإن أصل اللغة والكلام عند " روسو " نشأ من العواطف النبيلة والمشاعر الطيبة وذلك يرجع إلى (أن حالة الطبيعة الأولى كان يسودها الخير والسعادة والفضيلة ، وأن الشرور والآثام والكذب والرياء ما هى إلا سمات المجتمع المتحضر) [4]

ويؤكد " روسو " على أهمية دور الطبيعة فى تشكيل اللغة وتشكيل المجتمع فى مقالته " أصل اللامساواة " بقوله : " أن أصل اللغة والمجتمع يستنتجان من غاية الطبيعة التى تأخذ فى توحيد الجنس البشرى من خلال إرادات مشتركة ، وتيسيرها

---

[2] نفس المرجع السابق : ص131 .

2) Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – Trans by John H. Moran and Alexander Gode – New York – 1966 – P. 12 .

3) Ibid : P. 12 .

[2] د. على عبد المعطى محمد : تيارات فلسفية حديثة – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 1984 – ص 436 .

لاستخدام الكلام ، كما أنها تسهم فى الاختلاط ، وتبدع فى توحيد العبيد " [1] فالطبيعة المحيطة بالإنسان وعواطفه الذاتية وانفعالاته هى التى دفعت بالجنس البشرى أن يتقارب فى الفهم والفكر وأن يتوحد ويتحد فى العمل والإرادة ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن أصل اللغة التى استخدمها وتناولها الإنسان ارتكز على العواطف التلقائية والطبيعة الأخلاقية له .

وأيضاً رأى " روسو" أنه " لما كانت العواطف هى التى دفعت الإنسان إلى التكلم ،فإن تعبيراته اللغوية كانت عبارة عن استعارات . فاللغة المجازية هى أول ما ظهر ، أما الدلالة الحقيقية فكانت آخر ما توصل إليه . فالأشياء لم تلقب باسمها الحقيقى إلا عندما تمت مشاهدتها ورؤيتها فى شكلها الحقيقى " [2]

إذاً فالمقصد هنا هو أن تعبيرات الإنسان كانت رمزية أو استعارية مجازية ناتجة عن عواطفه،فقط كالصرخات والأنات والنبرات ، من ثم كانت العاطفة بمثابة نقل لأفكاره ، ونقل لدلالاتها . ثم تحولت تلك اللغة المجازية الاستعارية إلى لغة حقيقية ، لها معان ودلالات واضحة. إذاً لغة المجاز سبقت لغة الواقع والحقيقة .

لقد كان استناد " روسو" للطبيعة والعاطفة كأصل وأساس للغة والتكلم والتلفظ بين الناس ، كان راجعاً لسببين ، الأول : هو ايجابية الطبيعة الإنسانية التى تحمل الخير والفضيلة بعيدة عن الشر والظلم ، والثانى إلى أن المجتمع الأوروبى الغربى الحديث ظهرت فيه – نتيجة المدنية والتقدم الحضارى – اللامساواة بين الناس والطبقية والظلم والفساد ، من ثم كانت مناجاة " روسو" ودعوته للعودة إلى الطبيعة الأولى للإنسان وما فيها من سمات السعادة وفضائل الخير . من ناحية أخرى وُصِفَ "روسو " بأنه ذا خيال فياض ، وقلبه كبير ، مما كان دافعاً لتجنب التمسك بالعقلانية ، فالعقل يوقع الإنسان فى الخطأ بل ويضلله ويؤكد "رسل" Russell (1872 – 1970) على ذلك بقوله : " كان دفاع "روسو" عن المشاعر فى مقابل العقل واحداً من المؤثرات القوية التى شكلت

---

1) Rosseau (J.J.) : On the Origin of Inequality – Great Books of the Western World – Chicago – London – Geneva – Tokyo – 1982 – P 342 .

2) Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – P. 13 .

الحركة الرومانتيكية [الرومانسية] ... رأى "روسو" ، فى ميدان الأخلاق أ ن مشاعرنا الطبيعية تهدينا إلى الطريق الصحيح ، على حين أن العقل يضللنا ."[1]

لكن يبرز التساؤل هنا : هل يمكن القول أو الاعتقاد بأن "روسو" أهمل العقل فى اللغة ؟ وهل رفض المجتمع المدنى رفضاً تاماً فى مقابل دفاعه عن حالة الطبيعة الأولى للإنسان ؟

أعتقد أنه لم يهمل الفكر فى نطاق اللغة ، ولم يرفض المجتمع المدنى كلية ، فما أدل على قوله " أن أفكار الناس تبدأ بتفسير وانتشار واتصال بينهم ، إنهم يجاهدون فى اختراع العديد من العلاقات ، وابتكار لغة أكثر وفرة " [2]

ويذكر أيضاً " أن نمو الحاجات البشرية وتعقد الأعمال وتزايدها إنما يؤدى إلى تغيرات فى اللغة فتتحول من الأهواء والعواطف إلى المعقولية ، وتتبدل بالأفكار وترتبط بها أكثر من العواطف ، وتتحول اللغة من مخاطبة القلب إلى مخاطبة العقل " [3] فاللغة عند "روسو" – إذاً – تستلزم أساس وأصل أول هو العواطف ، ثم تقتضى التفكير والتخيل Imagination,Reflection وهى قدرات جوهرية فى الإنسان لم يدركها الإنسان الأول أو البدائى . (إنه يدعونا إلى العودة إلى الطبيعة Back to nature ... ويمكن أن نعتبر حالة الطبيعة كمعيار ثابت تصحح على أساسه حالة المجتمع المتحضر وتنطلق منه نحو بناء اجتماعى أقرب ما تكون إلى السلامة) [4] ويقترب" كاسيرر" Cassirer من نفس المفهوم بقوله : " أن روسو لم يقصد إلى أن يتخذ من صفة حال الطبيعة وصفاً تاريخياً للماضى ، وإنما كان تركيباً رمزياً أمامه ليصور مستقبلاً جديداً لبنى الإنسان ويحقق له كيانه ... " [5] وهذا تأكيد واضح على أن "روسو" لم يرفض مطلقاً المجتمع المدنى بل

---

[1] رسل (برتراند) : حكمة الغرب – ترجمة / د. فؤاد زكريا – الكويت – المجلس الوطنى للثقافةوالفن ـون والآداب – عالم المعرفة – العدد 72 – 1983 – جـ 2 – ص. ص 154 – 155 .

[2] OP. Cit : P. 341 .

[3] Rousseau (J.J.) : Essay On the Origin of Language – P. 16 .

[1] د. على عبد المعطى : تيارات فلسفية حديثة – مرجع سابق – ص.ص 443 – 444 .

[2] كاسيرر (أرنست) : مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال فى الإنسان – ترجمة / د. إحسان عباس – مراجعة / د. محمد يوسف نجم – بيروت – دار الأندلس – 1961 – ص 123 .

أراد من انطلاقه بفكره من الطبيعة الخيرة للإنسان أن يغير ذلك المجتمع ويدفعه نحو المحبة والاستقرار ، نحو لغة أكثر أخلاقية ، نحو مجتمع منظم يحمل فى طياته مقومات الإنسانية والعقلانية .

نضيف إلى ذلك تعقيباً على أفكار "روسو" نحو أصل اللغة ، أنه تقارب كل المقاربة مع رؤية هيوم Hume (1711 – 1771) حين ذهب إلى " أن العقل ليس إلا خادماً مطوعاً ، وأنه لا يستطيع إنتاج أى فعل ، ولا يمكن وحده أن يكون دافعاً محركاً لأى عمل إرادى " [1] وقد استند "هيوم" فى مذهبه الحسى التجريبى إلى أن العاطفة هى التى تشكل الفعل الخلقى للإنسان وليس العقل ، من ثم فالعقل لا يعد سوى تابعاً أو خادماً لها .

ثانياً : اللغة ظاهرة وأداة

(الظاهرة Phenomena ما يمكن إدراكه أو الشعور به ، وما يعرف عن طريق الملاحظة والتجربة . والظواهر طبيعية ونفسية واجتماعية) [2] المدلول هنا يؤكد أن كل ظاهرة تتضمن المعقول والمحسوس ، فعندما تدرك فالإدراك قدرة عقلية للوعى والفهم ، وعندما نشعر فهذا يعنى إحساساً بشئ ما ، والتساؤل هنا : هل تعد اللغة ظاهرة بالفعل أم لا ؟ وإذا كانت ظاهرة فهل هى ظاهرة مدركة معقولة أم ظاهرة ملموسة ، هل هى ظاهرة نظرية أم عملية ؟

واقع الأمر يكشف عن أن اللغة فى حقيقتها بنية طبيعية وسيكولوجية واجتماعية، ودلالية ورمزية ، كما أنها ظاهرة تجمع بين ما هو مادى وما هو متصور ، تشمل الواقع والخيال . إنها كل متكامل يثبت الوجود الإنسانى ويؤكد حريته ، وتواصله واستمراريته فى الحياة . (إن اللغة ظاهرة اجتماعية وصناعة إنسانية وأن الإنسان

---

[1] Harrison (Jonathan) : Hume's Moral Ebistemology – Clarendon Press – Oxford – 1976 – P. 5 .

[1] المعجم الفلسفى : د. مراد وهبه – القاهرة – دار الثقافة الجديدة – 1979 – ط3 – ص 256 - المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية – القاهرة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – 1979 – ص 114 .

هو صانع الألفاظ وقواعد تركيبها فى جمل صحيحة وقواعد استخدام الكلمات أو الرموز لتدل على أشياء ...) [1]

لقد أكد "روسو" Rousseau – موضع البحث – على أن اللغة ظاهرة شاملة بالفعل ، فهى ظاهرة طبيعية وسيكولوجية واجتماعية ، فمن حيث كونها طبيعية، أنها بدأت بين بنى الإنسان بالإيماءات والإشارات قبل التكلم وال نطق بالألفاظ ، إلى جانب استخدام الأصوات الطبيعية المقلدة للطبيعة ذاتها " فلما كانت الأصوات والنبرة من الطبيعة وكان فعلها يكفى فعل النطق ، فإننا سنغنى بدلاً من الكلام"[2]

كما أن تأثير الطبيعة والمناخ الجعرافى والبيئة الجغرافية فى تكوين اللغة وتشكيل لهجاتها أدى إلى أن " الجنس البشرى Human Race الذى ينشأ فى البلاد الحارة Warm Lands ، يلجأ بعد ذلك إلى المناطق الباردة ، وهناك يتناسل ثم يعود إلى المناطق الدافئة ، ومن هذا الوضع من المد والجذر ، تكون انقلابات الأرض ويكون اضطراب سكانها المتواصل . فلنعمل على أن نساير نظام الطبيعة ذاته – . حتى نقف على أصل المؤسسات الإنسانية " [3]

وبما أن الطبيعة وظواهرها متغيرة ومتقلبة ، وبما أن الإنسان جزءاً منها فلابد أن تخضع اللغة التى يستخدمها ويتداولها أيضاً لتغيرها وتقلبها ، من ثم فهى ظاهرة طبيعية مثل بقية ظواهر الطبيعة . أما من حيث كون اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قال "روسو" مؤكداً على ذلك فى مقالته " أصل اللامساواة " : (إن المجتمع يستلزم اللغة ، واللغة تستلزم المجتمع) [4] "Society Presupposes Language and Language Presupposes Society"

---

[2] د. محمود زيدان : فى فلسفة اللغة – الإسكندرية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – 2003 – ط1 – ص 82 .

[2] Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – P. 15 .

[3] Ibid : P. 31 .

[4] Ibid : P 82 . [تعقيب وخاتمة جون موران فى مقال: أصل اللغات لروسو .] –

وذهب إلى " أن الكلام هو أول مؤسسة اجتماعية " [1] مما يدل على أن اللغة منشأها اجتماعى بل وهى السبب الحقيقى فى نشأة المجتمعات وتكوين عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وقوانينهم ، وعلومهم وفنونهم وآدابهم ، إنها الظاهرة الاجتماعية الفريدة فى توحد البشر وتآلفهم . وقد أكد بياجية Piaget (1896 – 1980) على " أن اللغة مؤسسة اجتماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد وتتناقل بطريقة حيوية من جيل إلى جيل " [2]

وذهب دوسوسير F. De Saussure (1857– 1913) اللغوى السويسرى إلى نفس الاتجاه الذى يبرهن فيه على أن اللغة ظاهرة اجتماعية قائلاً : " أن اللغة نتاج اجتماعى لملكة اللسان [الكلام] وتواضعات [اتفاقات] ملحة يتبناها الجسم الاجتماعى ... " [3]

ومن حيث أن اللغة تعد ظاهرة سيكولوجية ، فقد تطرق "روسو" إلى ذلك – من قبل – حيث تحدث عن أصل اللغة مؤكداً على أن العواطف والأهواء هى التى كانت تؤلف بين بنى البشر . وبما أن العواطف تمثل ظاهرة سيكولوجية إنسانية، وبما أنها تمثل أصل اللغة وأساس تبادل الأفكار ، فإن اللغة بالتالى تشكل ظاهرة سيكولوجية تحمل فى داخلها الحب والود والسرور والشفقة وكل الدلالات الطيبة الخيرة الأخلاقية والنفسية . بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة يظهر فيها الشعر والموسيقى الشعرية واللحن والنغم ، وكلها تبرز لغة عاطفية وجدانية تخاطب القلوب قبل العقول ، كما أنها تتسم بالانفعال تجاه مواقف حياتية يعبر عنها الإنسان ، كما أن لغة الموسيقى أيضاً لغة وجدان ومشاعر وأصبحت لغة تواصل بين شعوب العالم ، وأقرب مثال على ذلك موسيقى السلام الإقليمي والدولى ، أى التى تعد تمثيلاً معبراً عن كل دولة على حدة .

---

[1] Ibid : P. 5 .

(1) بياجيه (جان) : البنيوية – ترجمة / عارف منيمنه ، بشير أوبرى – بيروت – منشورات عويدات – 1982 – ط 3 – ص 63.

(2) دوسوسير : محاضرات فى الألسنية العامة – ترجمة / يوسف غازى ، ومجيد نصر – بيروت – دار نعمان للثقافة – 1984 – ص 21 .

ويذكر روسو " أن عبقرية اللغات الشرقية لم تكن لغات هندسة أو ذات منهج ، بل فى حقيقتها لغات شعراء ، فأصحابها لم يبدأوا بالتفكير بل بالإحساس والشعور " [1] كما أن الشعر والموسيقى ما هى إلا اللغة ذاتها . إذاً فالعاطفة والشعر والموسيقى والألحان والأنغام والإيقاعات فى مجملها تمثل ظاهرة سيكولوجية تبرز اللغة فى صور وجدانية وسيكولوجية أيضاً .

أما الجانب الآخر للغة أنها تشكل أداة ووسيلة فاعلة للتواصل بين الإنسان وأخيه الإنسان " فقد أدرك "روسو" اللغة بكل محدداتها Limitations بوضوح ، فى كونها وسيلة أساسية Indispensable Instrument لفهم الوجود الإنساني ، مشترطاً أنها لا تُبحث كغاية فى ذاتها ، ولكن تبحث فقط كجزء من خبرة الإنسان العميقة " [2]

استنتاجا مما سبق – يرى الباحث أن اللغة لم تكن مجرد ممارسة فقط وإنما هى ظاهرة وأداة معاً ، ظاهرة لأنها متغيرة ومتقلبة مثل أى ظاهرة من ظواهر الطبيعة الكونية والوجود ، تساير متطلبات الحياة الإنسانية ومقتضياتها ، قضاياها ومشكلاتها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنها تشكل أداة ووسيلة فعالة وأساسية للتفاهم والتفاعل الإنسانى ، بين الفرد والمجتمع ، بين الإنسان والعالم المحيط به . من ثم يمكن القول مع ماكورى Macquarrie " أن اللغة قدرة بشرية أساسية وبدون اللغة لا يمكن للمرء أن يكون بشراً " [3]

ثالثاً : اللغة حضور فى المكان والزمان

إن حضور اللغة هو تلازمها مع الإنسان ما بقى حياً ، وحضورها وجود ، وبما أنها ظاهرة كلية وشاملة فى هذا الوجود ، فإنها توجد فى الزمان والمكان، ولا يمكن فصل أياً منهما عن اللغة ، كما أنها لا تنفصل عنهما . وقد تحدث الفلاسفة والعلماء وبحثوا كثيراً ودرسوا ماهيته م ا والعلاقة بينهما وبين الإنسان والكون .

---

1) Ibid : P. 11 .

2) Ronald Grimsley : The Philosophy of Rousseau – London – New York –1973–P. 130

(3) ماكورى (جون) : الوجودية – ترجمة / د. إمام عبد الفتاح إمام – الكويت – عالم المعرفة – العدد 58 – 1982- ص 154 .

فمن المعلوم ، أن كل الأسباب التى تساعد أية جماعة إنسانية على نشأتها والتى تتمثل فى الاستقرار فى مكان ، والمناخ الطبيعى ، والحاجات الضرورية التى تقتضيها حياتهم من أجل العيش واستمرارهم فى الحياة ، كل هذه الأسباب وغيرها إنما تحتاج إلى شغل حيز من الأرض، وبما أن هذا الحيز يشغله الإنسان فلابد لوجوده لغة يستخدمها فى التفاعل والتعامل ، داخل هذا الحيز أو ذلك المكان Place . وقد ذهب " روسو" – موضع البحث – إلى أن أهم الأسباب التى تدفع الإنسان لتعلم لغة ما وأن يتكلم بها هو هذا الارتباط بالمكان الذى يشغله " فالكلام يميز الإنسان عن الحيوان Speech distinguishes man among animal ، وتميز اللغة الأمم بعضها عن بعض ، فلا يُعرف إنسان من هنا أو هناك إلا بعد أن يتكلم . لكن ما الذى يحتم أن تكون تلك اللغة هى لغة بلاده دون لغة أخرى ؟ إن الضرورة تقتضى الرجوع إلى قاعدة Principle تتلاءم مع المكان/ الموقع ذاته وتاريخ الأعراف السابقة للكلام " [1] وهذا يدل دلالة واضحة على أن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان ، وأى انتقال فى جزء منه إلى حيز آخر يعنى تغير فى عادات وقيم وأعراف الجماعة البشرية، وبالتالى تغير فى لغتهم .

لكن من ناحية أخرى لم يكن المكان هو المتغير الوحيد ولم يكن العنصر الأوحد فى تغير اللغة بل يوجد بُعد تصورى آخر ملازم تماماً لظاهرة المكان ألا وهو الزمن Time . فالزمان حقيقة صورية وخفية قد لا يمكن للإنسان أن يُعرِّفه ، إنه متعدد ومتنوع الأشكال فمن هـ السيكولوجى الذاتى ، ومنه الكونى الفيزيائى ، منه المتصل ، ومنه الوجودى ،وغير ذلك من تنوعات زمانية ، إلا أنه لكى نحدده ينبغى إقرانه بالمكان ، وما أدل على (أن الكسندر Alexander [صموئيل – الفيلسوف الإنجليزي – 1859 – 1938] قد تصور الحقيقة المكانية والزمانية على أنها نسق متصل ، يرتبط فيه كل ما حدث بما قبله وما بعده) [2]

---

[1] Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – P. 5 .

[1] د. زكريا إبراهيم : دراسات فى الفلسفة المعاصرة – القاهرة – مكتبة مصر – 1968 – ص 159 .

إنه يشكل التاريخ والحضارة والمعرفة ، ويتشكل منه الماضى والحاضر والمستقبل ، وندرك كل الإدراك بأن عوامل الزمن كثيرة ومتغيرة ومتنوعة ، ومن ثم فتأثيره على الإنسان دائم ومستمر ، فى عقله ، وفى حسه ، وفى إرادته، فى فكره وفى لغته . لذلك يمكن القول بأن تغير اللغة واللهجات فى حروفها ونطقها ودلالاتها ومعانيها ، والتراكيب النحوية التى تتكون منها ، وكذلك التحول من الإيماءات إلى الإشارات إلى العلامات الاتفاقية ، إلى الكتابة ، كل هذا تأكيد على حضور اللغة ووجودها عبر الأجيال المتعاقبة ، كما يمكن القول أيضاً بما أن اللغة تتغير بتغير الزمان والمكان فإنها حاضرة فيهما . " وكل من يدرس تاريخ اللغات وتقدمها يجد أنه بقدر ما تزداد الأصوات فيها رتابة بقدر ما تزداد حروفها الصامته . ويمكننا استبدال النبرات التى تمحى بتركيبات نحوية وألفاظ جديدة Grammatical Combinations New Articulations ، ولكن هذه التغيرات لا تتم إلا بفعل الزمن " [1]

ويذكر أيضاً " أن كل الناس يصبحون بمرور الزمن متماثلين ، إلا أن نظام تقدمهم يختلف . ففى المناخات الجنوبية Southern Climes حيث الطبيعة المعطاءة السخية Bountiful ، التى تنشأ فيها الحاجات من العواطف Passions . أما فى البلاد الباردة Cold Countries ، تتولد العواطف من الحاجة ، واللغات ناتجة عن الحاجة ، مما ينعكس على منشأها القاسى الجاف" [2]

إن معيار تلك التغيرات والتشابهات هو تلك العوامل الجيوفيزيائية Geophysics [علم طبيعة الأرض] والمناخية ، التى ترتبط بدورها ارتباطاً كلياً بعاملى المكان والزمان مما ينعكس على عادات وحاجات ولغات بنى الإنسان. وهذه تأكيدات واضحة من "روسو" على مدى الاتصال الوطيد بين اللغة والمكان والزمان ، وتأثيرهما على الإنسان .

---

1) Ibid : P. 16 .
2) Ibid : P. 46 .

رابعاً : اللغة والحرية :

الحرية قيمة أخلاقية عليا وحقيقة واقعية تؤكد على وجود الإنسان وتبرهن على استمراريته ، ذلك لأنه خلق حراً ، من ثم فهى تحتاج إلى لغة تبرز دلالاتها ومفهومها ، ومعانيها ، فى نفس الآن تحتاج اللغة التى يتداولها الإنسان إلى حرية تبعث على الحياة ، حرية تساعد على فهم اللغة المراد إيصالها لأى جماعة أو أى شعب . لقد ذهب "روسو" إلى أن " هناك من اللغات ما يؤيد الحرية. إنها اللغات الرنانة Sonorous ، الموزونة Prosodic ، المتناغمة Harmonious تلك التى يمكن فهم ما يقال فيها من بعيد جداً " [1] هذا يدل دلالة واضحة على أنه توجد بعض اللغات ما تعوق التعبير عن الحرية وفهمها ، إنها تنحصر فى لغة واحدة فقط هى لغة العبودية ، فأى فرد أو جماعة أو شعب لا يذوق الحرية ولا ينعم بها ، فإنه لا يمكنه أن يتكلم وأن يفكر وأن يكتب وأن يتحاور وأن يناقش فى أمان وثقة وبأسلوب واضح وصحيح " إن كل لغة لا يمكننا أن نبلِّغها للجمهور المت جمع هى لغة عبودية . إنه يستحيل على شعب أن يظل حراً وفى نفس الوقت يتكلم هذه اللغة " [2]

إذاً فالحرية والعبودية نقيضان ولا يمكن أن يجتمعان فى اللغة ، من ثم يمكن القول بل والتأكيد على أنه لا حرية بلا لغة ، ولا لغة بدون الحرية .

خامساً : صلة اللغة بالموسيقى :

تنقسم اللغة إلى جزأين أساسيين : الأول : الكلمات والجُمل والأفكار ، والثانى : النغم واللحن Melody للتأثير على المشاعر . لذلك ينبغى أن ترتبط اللغة المعبرة عن الألفاظ والأفكار ، بذلك النغم الموسيقى الذى يستند بدوره إلى تأثير العواطف والانفعالات فى أحاسيس الإنسان ومشاعره .

" فأية لغة تملك فقط تمفصلات [أى مقاطع] وألفاظ ، فإنها لا تملك سوى نصف ثروتها Only half its riches . حقاً إنها تعبر عن أفكار ، تعبر بدورها

---

1) Ibid : P. 72 .
2) Ibid : P. 73 .

عن مشاعر Feelings وصور [تخيلات] Images ، إنها فى حاجة لإيقاع Rhythm وأصوات Sounds أي إلى نغم " [1] من ناحية أخرى نجد أن تلك الأنغام والألحان تحتاج إلى ألفاظ وكلمات وجمل لها دلالاتها كى تفهم ." فكل الألحان – فى الواقع – تحتاج إلى أنغام وقصائد شعرية تفهم . فالإيطالى يحتاج إلى ألحان إيطالية ، والتركى يحتاج إلى ألحان تركية . فكل واحد لا يشعر إلا بما يدركه من نبرات . كما أن انفعالاته لا ترق إلا بقدر ما تميل لها روحه . إنه لابد من فهم اللغة التى يكلمه الناس بها حتى يمكنه هو أن يستشعرها " [2]

الموسيقى – إذاً – من ناحية لن تفهم بوضوح بدون اللغة ، لأن اللغة ذاتها تساعدها على التفاعل مع هذا النغم أو ذلك اللحن والتأثر بها . من ناحية ثانية أن الموسيقى لا ترتقى إلا بتأثير العواطف الإنسانية فى كيفية تقبل وتذوق هذا اللحن أو ذلك النغم " إنها تنطق كل الأصوات ، وتزينها بكل بهائها وجمالها " [3]

لهذا استبعد "روسو" Rousseau الفلسفة والتفلسف من التدخل فى هذا التذوق الموسيقى الراقى ، لأنها تجرد الإنسان من مشاعره وأحاسيسه النبيلة " فهذا القرن الذى أصبح فيه كل عمل النفس مادي وحرم الإنسان من كل أخلاقية وكل شعور ، نجد أن الفلسفة الجديدة [المعنى هنا هو الفلسفة المادية] أصبحت هدامة للتذوق السليم كفضيلة أخلاقية " [4] . هذا الاتجاه الذى ذهب إليه روسو فى بحثه فى اللغة والموسيقى كان متوافقاً إلى حد بعيد مع رأيه فى الأخذ بخصائص الطبيعة الأولى للإنسان ، تلك التى اتصف فيها بالفضيلة والخير والمشاعر الفياضة ، محاولاً تجنب الأساليب المادية للحضارة الغربية الحديثة التى حطت من تلك العواطف والقيم الأخلاقية .

استنتاجاً من ذلك ، نعتقد مع "روسو" أن اللغة ترتبط بالموسيقى ارتباطاً واضحاً فى وظيفتها وأصلها ، فتذوق الموسيقى هو فى الأصل تذوق للغة .

---

1) Ibid : P. 51.
2) Ibid : P. 60 .
3) Ibid : P. 50 .
4) Ibid : P. 61 .

الفصل الثانى
فلسفة الكتابة بين طبيعية روسو
وتفكيكية دريدا

مقدمة :

اللغة ظاهرة – كما أوضح الباحث من قبل – طبيعية وسيكولوجية واجتماعية ، غايتها التعبير عن حاجات الإنسان وأفكاره وإرادته ، من ثم كانت لها أصولها وقواعدها وتركيباتها ، فتنقسم أولاً : إلى لغة شفاهية منطوقة ، تتمثل فى الكلام Speech بأدواته البيولوجية وهى الفم واللسان والحنجرة والأذن والأحبال الصوتية والأسنان ، ووظيفتها التفسير والتقليد والتمثيل والوصف والتحليل دون التزام بتركيبات وقواعد اللغة ، فالكلام أقرب للفردية أو الشخصانية والذاتية من الخطاب اللغوى المركب ، أما القسم الثانى من اللغة هو اللغة المكتوبة أو الكتابة Writing وهى لغة ملتزمة بأساسيات وتركيبات اللغة، وأهم أدواتها القلم وما يسجل عليه ، سواءً ورق أو معدن أو غير ذلك ، وكذلك البصر . لكنه يمكن القول – إجمالاً – بأن اللغة بشقيها ذات غاية واحدة ألا وهي التعبير عن الحس والعقل والإرادة والواقع والطبيعة وكل ما يتعلق بالوجود الإنسانى .

والتساؤل الذى نطرحه فى هذا الفصل هو : أن الكتابة كاختراع بشرى جديد : هل غيرت من مفهوم وغاية الكلام ؟ وهل تأثيرها قديماً أو حديثاً أقوى من تأثير الكلام ؟ هل تعد الكتابة بمثابة تابع ومكمل للكلام أم العكس هو الصحيح ؟ وهل فعلها ملازم لفعل الكلام أم غير ذلك ؟

حاول الباحث الإجابة عن تلك التساؤلات من خلال ما ذهب إليه روسو ومنطلقاته الطبيعية ، وما آل إليه دريدا Derrida (1903 – 2004) وفق تفكيكيته اللغوية فى ظاهرة الكتابة .

أولاً : الكتابة كمعيار لتفعيل اللغة :

الكتابة Writing خطاب مقنن واختراع إنساني هائل حَّول اللغة من مجرد نبرات وأصوات منطوقة إلى أبجديات وتركيبات منظمة ومنسقة مكتوبة وملموسة تحتاج إلى ممارسة ووعى وإدراك . من ثم فإن التدرج الطبيعى للغة يكمن فى مدى التغير والتقدم الحادث فيها ، أعنى تغيرات الأصوات والنبرات ، وكذلك تغيرات الحروف الأبجدية المستخدمة فى الكلام ، إلا أن أوضح تغيرات اللغة وتقديماتها عبر الأجيال والأزمنة المتعاقبة إنما يتم فى الكتابة .

فعلى سبيل المثال نجد أن الكتابة الخشنة أو الجافة تتماشى مع قدم اللغة ، أما الكتابة الواضحة الواعية إنما تتسق مع حداثة اللغة ذاتها ، لذلك يمكن القول بأن الكتابة تمثل معياراً أساسياً وبرجماتياً لتفعيل اللغة على مر العصور التى اخترعت وظهرت فيها الكتابة منذ ما يقرب من عام 2500ق.م . لقد قسم "روسو" Rousseau أساليب الكتابة إلى ثلاثة ، تشكل الطبيعة العملية والايكولوجية البيئية للشعوب : " فالأسلوب الأول للكتابة هو رسم الأشياء رسماً مباشراً ، مثلما كان عند المكسيكيون ، أو رسماً غير مباشر مثلما كان عند المصريون القدماء ، وتتوافق هذه الحالة مع اللغة العاطفية ... كما تفترض أن العواطف قد نتج عنها بعض الحاجات . أما الأسلوب الثانى فيتم بتمثيل الكلمات والقضايا بحروف اتفاقية اصطلاحية Conventional Characters ، وهذا لا يتم إلا عند اكتمال تكوين اللغة ... وعندما يتحد شعب بأكمله حول قوانين مشتركة ... فذلك شأن الكتابة الصينية . وأما الأسلوب الثالث فيكون بتجزئ الصوت المتكلم إلى عدد من الأجزاء الأساسية الملفوظة أو التمفصلية Vocal or Articulate ، بحيث يمكن استخدامها فى تركيب كل ما يمكن تخيله من الكلمات والمقاطع . هذه الطريقة فى الكتابة هى طريقتنا [أى طريقة المجتمع الأوربى] ، فلابد لشعوب تعمل بالتجارة قد تخيلته " [1] هذا التقسيم وذلك التعدد لأساليب الكتابة يُعد تدرجاً طبيعياً لأنه

---

[1] Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – P. 17 .

نتيجة تطور وتغير لغات الشعوب " فرسم الأشياء [أى تصويرها] يناسب الشعوب المتوحشة ، وعلامات الألفاظ والقضايا يناسب الشعوب الهمجية ، والأبجدية [قواعد اللغة وحروفها] تناسب الشعوب المتحضرة " [1] هذا التطور فى اللغة ، النابع من تطور الحاجات التى تقتضيها حياة الشعوب ، إنما يدفعهم نحو الاتفاق على اصطلاحات وكلمات وألفاظ وأيضاً دلالات معينة يتعاملون عن طريقها فيما بينهم . " فالكتابة فن لا يستند أساساً إلى فن الكلام ، بل يتوقف على حاجات من نوع مختلف " [2] ذلك لأن الكتابة يعتريها التغير بالاختزال والاستبدال والإضافة وفق حاجات الشعوب والمجتمعات ، فمن يعمل – على سبيل المثال – بالتجارة يكون له ألفاظ وكلمات ومصطلحات معينة لها دلالاتها ومعانيها تختلف عمن يعمل بالزراعة أو الرعى

من هنا يؤكد " روسو " على " أن الكتابة التى تبدو من وظائفها أن تحدد اللغة وتثبتها ، هى ذاتها التى تغيرها ، إنها لا تغير كلماتها بل تغير جوهرها Spirit. إنها تستبدل الدقة بالتعبير Exactitude for Expressiveness . فالإنسان عندما يتكلم يظهر مشاعره ، وعندما يكتب يبرز أفكاره Feelings are expressed in speaking , Ideas in Writing . " [3]

إن الكلمة المكتوبة تعبر إذاً عن الفكر ، أما الكلمة الشفاهية المنطوقة تعبر عن الأحاسيس والمشاعر ، إلا أن الكتابة تلتزم بمعنى محدد وبدلالة معينة للألفاظ ، أما الكلام فيكون فى هذا العنصر أعم من الكتابة لأن المتكلم يستخدم نبرات صوته فى تحديد المعانى ومن ثم يمكنه أن يغير دلالاتها ، بمعنى أنه عندما يتحدث بلفظ ما قد يقصد به بأكثر من دلالة أو معنى ، بعكس اللفظ المكتوب فدلالته ومعناه محدد ين. من هذا المنطلق جاءت دقة الكتابة فى اللغة .

من ناحية أخرى يذهب "روسو" إلى أنه على الرغم من الدقة فى الكتابة إلا أن الكلام يتسم بالحيوية والنشاط والطاقة " فلا يمكن للغة نكتبها فقط أن تحتفظ طويلاً بحيويتها مثل التى نتكلمها . فالكلمات هى التى تكتب وليست الأصوات Words,

---

1) Ibid : P. 17 .
2) Ibid : P. 19 .
3) Ibid : P. 21 .

not Sounds , are written . وأيضاً يتم تصريف اللغة بالأصوات والنغم ، تلك الأصوات هى التى تمنح الجملة ما لها من طاقة وتحولها إلى جملة مألوفة ومناسبة " [1]

ونستنتج من ذلك تأكيد "روسو" على أن الكلام له دور أكبر فى اللغة من الكتابة، فالصوت هو مركز الكلام وهو الذى يعطى اللغة حيويتها أكثر من الكتابة . "فإذا أراد المرء أن يقول كل شئ مثلما يكتبه سيتحول إلى مجرد قارئ يتكلم " [2]

بهذا المفهوم تأكيد على عمق الكلام وشموليته فى التعبير ، أما الكتابة فلا تضيف إلا معان ثانوية عرضية ، من ثم تعد بمثابة تكملة أو تابع أو ملحق للكلام ، وإذا كانت الكتابة معيار تغير اللغة ، فإن الكلام يشكل حيوية اللغة وإبداعها .

لقد اختلف الكثير من الفلاسفة والمفكرين مع " روسو" فى هذه الفكرة، فنأخذ – على سبيل المثال وبإيجاز – والتر ج – أونج Walter J. Ong يقول : " كانت الكتابة ... أخطر الاختراعات البشرية التكنولوجية . فهى ليست مجرد تابع للكلام . ذلك لأنها بتحريكها الكلام من العالم السمعى – الشفاهى إلى عالم حسى جديد ، هو عالم الرؤية ، تُحدث تحولاً فى الكلام والفكر معاً " [3] إن الكتابة اصطناع إنسانى للتفاهم بين بنى البشر و تعد – اليوم – أساس الكلام لأنها تحول الكلمة المسموعة إلى كلمة مرئية ملموسة .

ومن الفلاسفة المعاصرين أيضاً اللذين اختلفوا مع " روسو" الفيلسوف الفرنسى "جاك دريدا" Derrida . فما هو رأيه التفكيكى الذى طرحه تجاه قضية الكتابة وعلاقته بالكلام ؟ .

ثانياً : تفكيك دريدا للكتابة :

عرض دريدا Derrida ظاهرة الكتابة writing فى أكثر من مؤلَّف أهمها : " الكتابة . الشعوب القديمة والمكان " 1962 Writing Ancient Peoples and

---

1) Ibid : P. 22 .

2) Ibid : P. 22 .

[1] أونج (والتر ج): الشفاهية والكتابية– ترجمة / د. حسن البنا عز الدين –مراجعة / د. محمد عصفور – الكويت – عالم المعرفة – العدد 182 – 1994 –ص 167 .

Places ، " علم الكتابة " Grammatology1976 ، ثم "الكتابة والاختلاف " 1978 Writing and Difference . وقد تناولها بأسلوب أو طريقة التفكيك Deconstruction حيث عرض الظاهرة عند كل من أفلاطون Plato (427 – 347 ق.م) ثم "روسو" Rousseau (1712 – 1778) وكذلك هيجل Hegel (1770 – 1831) وأيضاً البنيوية Structuralism وبوجه خاص " ليفستراوس Lévi–Strauss (1908 – ؟) و "دوسوسير" De Saussure العالم اللغوى السويسرى (1857 – 1913) فيقول " إن أفلاطون كان يعتقد أن الكتابة رديئة من حيث الجوهر ، خارجية بالنسبة للذاكرة ، لا تنتج العلم بل الرأى ، ولا تنتج الحقيقة بل الظاهر " [1]

فأفلاطون يجعل من الكتابة مركزاً للنسيان وفقدان الذاكرة بل وأكثر من ذلك يصفها بأنها تميت الكلام . ثم يفكك رأى " روسو" فى الكتابة بقوله فى الجرامتولى : " ينتسب "روسو" إلى التراث الذى يحدد الكتابة الأدبية انطلاقاً من الموجود فى الحكاية أو فى النشيد " [2]

ويذكو أيضاً " أن روسو يكرر الحركة الأفلاطونية برجوعه إلى أنموذج آخر للحضور : الحضور فى الذات داخل الشعور ، داخل الكوجيتو Cogito [أى الوجود الذاتى] الحسى الذى يحمل فى الوقت نفسه القانون الإلهي مخطوطاً فيه. الكتابة تميت الكلام ، وأن من يحكم على العبقرية من خلال الكتب لهو كمثل من يريد أن يرسم إنسان انطلاقاً من جثته . إن الكتابة بالمعنى الشائع هى هنا كمثل حبر على ورق أو نص ميت Lettre morte إنها حاملة للموت ، وهى تستنزف الحياة " [3]

من المعلوم أن أفكار "روسو" وآرائه عن اللغة والكلام والكتابة انطلقت – كما أوضح الباحث من قبل – من الطبيعة الأولى للإنسان تلك التى هو جزء منها

---

[1] Derrida (J.) : La Dissémination – Paris – 1972 – P. 117 .
أنظر : زيما (بيير ف.) : التفكيكية – ترجمة / أسامة الحاج – بيروت – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – 1996 – ط 1 – ص 58 .

[2] زيما (بيير ف.) : نفس المرجع المترجم السابق – ص 59 .

[1] دريدا (جاك) : الكتابة والاختلاف – ترجمة / كاظم جهاد – تقديم / محمد علال سيناصر – الدار البيضاء – المغرب – دار توبقال للنشر – 2000 – ط2 – ص 117 .

. إنها تمثل العطاء والخير له ، فتكونت اللغة والكلام أولاً من عواطفه ثم حاجاته ومتطلبات حياته ، لذلك كان مقللاً لدور العقل فى تشكيل اللغة ، متابعاً فى ذلك وجهة نظر أفلاطون فى أن الكتابة لا يمكن أن تعبر عن العقل أو اللوجوس Logos أو القانون الإلهى ، كما أن الطبيعة كتاب مفتوح لا تستطيع الكتابة وصفه أو تحليله وإدراكه مثل الكلام . من هنا كانت الكتابة عند روسو فن لا يستند إلى فن الكلام بل كانت بمثابة ملحق أو تابع مكمل للكلام . وهذا يدل على أن الكلام أشمل من الكتابة وأعمق منها . وفى هذه الفكرة كانت محور اهتمام "دريدا" وانتقاده للتراث الغربى (فإذا كان "روسو" يرى أن الكتابة مجرد تكملة للكلام ، ولن تضيف إليه إلا شيئاً ثانوياً ، فإن دريدا يلفت الانتباه إلى أن الفعل Supplement [Supply] يشير أيضاً إلى الإكمال والاستبدال (إحلال محل) مما يعنى أن الكتابة لا تكمل فقط بل تحل أيضاً محله ، لأن الكلام مكتوب دائماً)[1]

إن فعل الاستبدال والإحلال هنا يدل على حدوث إضافة جديدة للكلام . مما يعنى "أن الكتابة لا تمثل أبداً مجرد "ملحق" "[2]

إن التصور الغربى لتلك الثنائية الكتابة والكلام – كما يرى دريدا – تصور أجوف لأنه جعل من الكلام مركزاً جوهرياً للغة ، فى حين جعل من الكتابة مجرد ظاهرة ثانوية هامشية ، على الرغم من أن الكتابة هى أصل اللغة . واقع الأمر " إن "دريدا" قلب العلاقة المقامة بين الكلام والكتابة عن طريق الإيحاء بأن الكتابة بوصفها كتابه عليا [عظمى] Archi – écriture ، ليست إطلاقاً مكملاً – كما يذكر "روسو" مناقضاً ممارسته النصية ، بل هى ملازمة لكل فعل كلام "[3]

لقد أكد دريدا – إذاً – على تقديم الكتابة على الكلام ، ولم تكن ظاهرة مكملة له ، ومن ناحية أخرى إذا كانت اللغة – من قبل – تطلق على كل من الفعل والحركة والفكر والوعى واللاوعى والتجربة والعاطفة والهوى والإرادة وغيرها ، " فإننا اليوم

---

[1] د. محمد شبل الكومى : المذاهب النقدية الحديثة (مدخل فلسفى) – تقديم / د. محمد عنانى – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 2004 – ص 316 .

[2] دريدا (جاك) : الكتابة والاختلاف – مصدر سابق – ص 105 .

[3] زيما (بيير ف.) : التفكيكية – مرجع سابق – ص 59 .

نواجه نزوعاً لإطلاق تسمية " كتابة " على هذه الأشياء جميعاً وسواها ، لا لتسمية الحركات الجسمانية التى تستند عليها الكتابة الحروفية [الأبجدية] أو التصويرية أو الايديوجرافية [أى تمثيل الكلمات برسوم وصور] فحسب ، وإنما كذلك على كل ما يجعلها ممكنة " [1]

إذاً فالكتابة تعنى الإضافة ، الإحلال والتجديد ، الاستبدال والتعديل والتغيير . إلى جانب هذا الأسلوب التفكيكى الدريدى لأفكار أفلاطون وروسو ، فقد تطرق أيضاً إلى تفكيك وجهة نظر"هيجل" Hegel الألمانى فى ظاهرة الكتابة فقال "لا شك فى أن هيجل قام للأسباب نفسها بالحط من الكتابة أو اخضاعها ... إن الكتابة فى نظره هى هذا النسيان للذات ، هذه الإحالة إلى الخارج ، ونقيض الذاكرة المستبطنة أو المخيلة إلى الداخل ، نقيض التذكر الذى يفتح تاريخ الفكر ... إنها تبقى أكثر عبودية ، وأكثر مدعاة للاحتقار وأكثر ثانوية ، ولكن كذلك الكتابة الأفضل ، كتابة الفكر " [2]

لقد وصف هيجل الكتابة بأكثر من هذا ، فهى مبدأ الموت وأنها تهديد للروح والتاريخ والنفس بالفناء ، إنها نهاية كل هذه الأشياء .

هذا التناول الهيجلى الرافض – كما أوضحه دريدا – يدل دلالة واضحة على مدى مسايرة هذه الفلسفة اللغوية لهيجل للحركة الأفلاطونية والاتجاه اللغوى عند "روسو" ، إلى جانب كون فلسفته مثالية وعقلانية ترفع من شأن العقل والروح الكلى . إن هذا الوصف الهيجلى السلبى الضيق للكتابة ، رفضه دريدا تماماً " إن أفق المعرفة الهيجلية المطلقة هو إمحاء الكتابة وذوبانها فى اللوجوس [العقل] ، وابتلاع الأثر فى الحضور واحتواء الاختلاف ... إنه قد رد الاعتبار للفكر بما هو ذاكرة منتجة للعلامات ... إنه الفيلسوف الأميز للكتاب والمفكر الأول للكتابة " [3]

إلى جانب هذا العرض التفكيكى الدريدى لظاهرة الكتابة عند هيجل ، تناول دريدا تفكيك الاتجاه البنيوى بانتقاده ليفى شتراوس Lévi-Strauss

---

[4] دريدا : الكتابة والاختلاف – مصدر سابق – ص 107 .

[1] نفس المصدر السابق – ص 127 .

[2] نفس المصدر السابق – ص 129 .

(الانثرويولوجى البنيوى الفرنسى) " بسبب التفكير فى الكتابة بمعناها الضيق ، وبسبب فهمه لها على أنها مُحرقة لكل الأشرار المستغلين للحضارة"[1]

وانتقد كذلك دوسوسير De Saussure الذى اهتم بمركزية الصوت والكلمة وتقديمه على الكلمة المكتوبة " فاللغة [عنده] ضرورية من أجل كلام مفهوم ، وتقدم كل محتوياته ، لكن الخطاب ضرورى من أجل لغة مثبتة وتاريخية ، فواقع الكلام يجئ دائماً أولاً " [2] .

من ثم كانت معارضة ونقد "دريدا" للبنيوية التى اهتمت بالكلام دون الكتابة وأفردت للخطاب اللغوى المنطوق دون المكتوب ، وذهب إلى (" أن الكتابة écriture هى أصل اللغة ، وليس أصلها هو الصو ت الذى ينقل الكلمة المنطوقة " اللوجوس " ، ويهدف علم الكتابة الذى وضعه دريدا إلى الحلول محل سيميولوجيا [علم العلامات] سوسير ") [3]

ويقول " بأن فعل الكتابة يوقظ معنى إرادة الإرادة : حرية ، انقطاع عن وسط التاريخ التجريبى ، فى أمل تحقيق وفاق مع الجوهر الخفى للتجريبية مع التاريخانية المحض [الخالص] . إرادة الكتابة لا مجرد الرغبة بالكتابة [فى الكتابة] ، لأن الأمر لا يتعلق بتأثر وإنما بحرية وواجب . إن فعل الكتابة ، فى علاقته بالكيان، يطمح إلى أن يكون المخرج الوحيد الممكن خارج التأثر " [4]

إن الكتابة عند "دريدا" – بهذا المفهوم – تحمل شقين جوهريين تتقومان بهما : الأول هو الإرادة أى إرادة الكتابة Will to write ، والثانى الفعل ، أى فعل الكتابة Act to Writing ، فالإرادة لكونها تتضمن الحرية فإنها المقوم الحقيقى لأفعال الإنسان ومنها الكتابة . أما فعل الكتابة ذاته فهو يختلف تماماً عن الرغبة فى الكتابة ، فالرغبة حالة سيكولوجية متغيرة تخضع لمؤثرات داخلية أو خارجية، لذلك لا تجئ

---

[1] سبيفاك (جايتريا) وكريستوفر نوريس : صور دريدا (ثلاث مقالات عن التفكيك) – ترجمة / حسام نايل – مراجعة وتقديم / ماهر شفيق فريد – القاهرة – المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومى للترجمة – العدد 319 – 2002 – ص 116 .

[2] De Saussure : Cours in General Linguistics – Trans . By Wade Baskin New York – Philosophical Library – 1959 – P. 231 – .

[3] د. محمد شبل الكومى : المذاهب النقدية – مرجع سابق – ص 318 .

[1] دريدا : الكتابة والاختلاف – مصدر سابق – ص 145 .

الكتابة بما ينبغى أن تكون عليه من وضوح ودقة ، أما الفعل فهو حضور عملى للكتابة ناتج عن إرادة حرة .

ويضيف "دريدا" إلى ذلك " بأن الكتابة هى المَخْرج بما هو نزول للمعنى خارج ذاته فى ذاته : استعارة – من – أجل – الغير – فى – اتجاه – الغير – ها – هُنا. استعارة بما هى إمكان للغير فى هذا العالم – الكتابة لحظة هذا الوادى الأصلى للآخر داخل الكيان . " [1]

ان دور الكتابة – إذاً – عميق جداً لأنها تعبر وتخرج ما بداخل الذات من معان وأحاسيس ودلالات وأفكار ، فهى قراءة للنفس عن النفس لتعرضها بعد ذلك على الآخر " إنها – كما يقول دريدا – اسم لما يسمى أبداً " [2]

إنها معيار الحياة والحضور والوجود من ثم " أعاد التفكيك كتابة قيمة الكتابة"[3]

استنتاجاً لتلك الرؤى والأفكار حول الكلام والكتابة ي توقف الباحث حول قضية هامة تمثل لغة فى شكل آخر غير لغة الكلام ولغة الكتابة إنها لغة الصمت فى التعبير ، ألم يكن للصمت دلالات ومعان رغم عدم الحوار والتلفظ وعدم الكتابة وسك الخط ؟ وإذا كان الكلام أسبق على الكتابة تارة وأعمق منها عند أفلاطون ثم روسو والبنيويين وغيرهم ، وإذا كانت الكتابة أعمق من الكلام بل تُعد أصل اللغة عند دريدا ، فهل كل إنسان يتكلم يكتب ؟ أو هل كل قارئ لكتاب يمكنه التفاعل معه والتفاهم به ؟ واقع الأمر يؤكد أولاً : على أن لغة الصمت قد تكون أبلغ فى المعنى والدلالة من لغة الكلام والكتابة مثلما رناجى الله سبحانه وتعالى فى خشوع وصمت .

ثانياً : نؤكد على أن كثير من الأنبياء والرسل لم يكن لديهم قدرة على الكتابة إلا أنهم أبلغوا رسالاتهم الإلهية إلى البشر . (وهناك لغات كثيرة لا يكتبها أبناءها إلى يومنا هذا ، كاللغة المهرية ، وكذلك النوبية ومئات اللغات الأفريقية ..)[1]

---

[2] نفس المصدر السابق – ص 167 .

[3] سبيفاك و نوريس : صور دريدا – مرجع سابق – ص 99 .

[4] نفس المرجع السابق – ص 110 .

إن الكتابة بكل تنوعها وتعدد أشكالها ودلالات ألفاظها ، لها دور عظيم فى نقل المعرفة إلا أنها لم تكن الأداة الكاملة أو المطلقة فى ذلك ، لأن التعبير الكتابى قد يعتريه القصور نتيجة المؤثرات السيكولوجية الذاتية أو الاجتماعية الخارجية التى قد تغير المعنى والدلالة .

كذلك " الكلام " يعُد أداة طيعة للمتكلم ولكن وبنفس المنطق قد يكون سلبياً فى التعبير والوصف والتحليل بل أكثر من ذلك قد يبتعد تماماً عن الحقيقة فى نقل المعرفة . نتيجة لذلك كله فإن اللغة بشقيها الشفاهى والكتابى فى أى مجال من مجالات وميادين المعرفة الإنسانية تعد نسبية وليست مطلقة ، وأنه لا يمكن التشبث بالكتابة وإهمال الكلام ، أو العكس ، بل كل له دوره فى قراءة العالم الذاتى والموضوعى والبحث فيه والتعبير عن جوهره وماهيته .

---

[1] د. محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة – القاهرة – دار الثقافة للطباعة والنشر – 1978 – ص 31 .

خاتمة البحث

حاول الباحث عرض دراسته اللغوية بنوع من التقنين والتجديد لفكر "روسو" Rousseau اللغوى وعلاقته ببعض الفلاسفة المحدثين والمعاصرين ، حتى يمكن التوصل إلى ماهية ذلك الفكر فى فلسفة اللغة ومضمونة وما ينطوى عليه من أساليب وطرق وأصول ، وما يُستهدف منه . إن اللغة عند "روسو" تهدف إلى إدراك طبيعة الإنسان وما يمكن توظيفه من تلك الطبيعة فى التواصل والاستمرارية فى الحياة ، مرتكزاً على لغته الشفاهية والكتابية ، فكل ما يبرز إنسانية الإنسان بل وما يحقق تلك الإنسانية يتمثل فى نبرات صوته الناطقة ، وقلمه المعبر عن فكره . فى إطار هذا المضمون أمكن للباحث استنتاج عدة نتائج تركزت فى التالى :

أولاً : أن توقيفية اللغة أو اصطلاحها ، فطريتها أو اكتسابها ، كونها إلهية أو طبيعية ، أدى إلى اختلاف اللغويين من المفكرين والفلاسفة ومنهم " روسو" – موضع البحث – هذا الاختلاف فى حقيقته يدل على الأهمية القصوى للغة ذاتها ، مما يدفعنا للاهتمام بتحليلها ودراستها كأول اختراع لسانى عرفه وأنتجه الإنسان على وجه الأرض ، فأخرج معان يها ودلالاتها ومصطلحاتها ومفاهيمها والتراكيب النحوية الخاصة بها ، فى نفس الآن قام – ويظل هكذا – يعدل فيها ويحول ويستبدل فى كينونتها تمشياً مع تقدم وتغير المجتمعات الإنسانية ، فى علومها وفنونها وآدابها . مما ساعد على تغير اللغة وتنوع أشكالها ، فظهرت لغة الاقتصاد ولغة السياسة ولغة التكنولوجيا كلغة الكمبيوتر ووسائل الاتصال المتقدمة ، ولغة الإعلام ، وغيرها من تنوعات وتفريعات لغوية .

ثانياً : أن وظيفة ودور الفلسفة هو البحث عن ماهيات الأشياء والقيم ، كما أنها تبحث كذلك فى كيفية التوصل إلى شمولية وكلية ا لأشياء ، من ثم تبحث فى كلية وشمولية اللغة وكيف يمكن أن تكون اللغة هكذا فى إطار العقل والحس والإرادة والروح والمعرفة والثقافة ، والتاريخ والحضارة ، إنها تمثل الواقع والخيال ، والمثال والنموذج الذى ينبغى البحث فيه والالتزام به لترتقى حياة الإنسان وتتواصل فى كل مجالاتها .

ثالثاً : أن أسلوب "روسو" كان يميل إلى الأدب أكثر من الفلسفة ، واتسمت كتاباته بالرومانسية والعاطفية بل والشاعرية الخيالية التى تحنو للقلب وتهفو للهوى ، لذلك لم يكن فيلسوفاً مذهبياً أكثر من كونه داعياً ومفكراً اجتماعياً وأخلاقياً .

رابعاً : أن "روسو" جعل من حال الطبيعة الأولى للإنسان بمثابة الطفل البريء الذى يفرح ويبكى بالفطرة بل ويتعلم بكل تلقائية ، وهو ما اتسمت به طبيعة الإنسان الأول من خيرية وفضيلة وحب ، وتلك قيم أخلاقية نبيلة . من ثم كانت دعوة "روسو" إلى المجتمع المتحضر المتمدين – اليوم إلى التمسك بتلك القيم وهذه الخصائص ، إلا أنه – فى الواقع – لم يدرك مدى تعقيد وتركيب المجتمع اليوم سواءً اقتصادياً أو اجتماعياً وسياسياً أو جغرافياً ، وازدياد مساحات الدول وتعدد أنظمتها السياسية وتزايد السكان وزيادة متطلباتهم وحاجاتهم الضرورية والغير ضرورية ، كل ذلك يعد من الأسباب الجوهرية فى تغير مفاهيم وأساليب الحياة ، وتغير الإنسان ذاته فى طبيعته وسيكولوجيته ، مما كان سبباً منعكساً على تغير اللغة فى مفاهيمها ومصطلحاتها ودلالاتها سواءً بالسلب أو بالإيجاب . كما أن هذا التركيب المجتمعى الحالى قد يقلل من الالتزام بخصائص الطبيعة الأولى للإنسان .

خامساً : اتفق "روسو" مع "هيوم" Hume فى اتخاذهما العاطفة محور ارتكاز ، فى الأخلاق عند هيوم ، واللغة عند روسو – كما أوضح الباحث من قبل – أما العقل فكان خادماً للعاطفة ، بل أن "روسو" رفض الاستناد إلى المذاهب العقلية والعقل عند " ديكارت" Descartes (1596 – 1650) و "سبينوزا" Spinoza (1632 – 1677) وغيرهم من العقلانيين لأن العقل مضلل للإنسان ولا يساعده فى العيش فى سلام ومحبة بل ويوقعه فى الخطأ والزلل .

كما اتفق "روسو" مع "هوبز" Hobbes (1588 – 1679) فى الاستناد إلى حالة الطبيعة الأولى ، رغم اختلاف كلاً منهما فى الخصائص التى تميز بها الإنسان ، فكانت عند "روسو" ايجابية أخلاقية أما عند "هوبز" فكانت سلبية لا أخلاقية .

كذلك اتفق المعاصرون م ن البنيويين– أمثال ليفى شتراوس Lévi – Strauss، وسوسير De Saussure ، وبياجيه Piaget مع "روسو" فى أن اللغة ظاهرة اجتماعية .

واتفق "جاك دريدا" المعاصر مع "روسو" الحديث فى مهاجمة المجتمع الأوروبي المتحضر لما فيه من سمات لا أخلاقية انعكست على اللغة . مما حمل دريدا على عاتقه تفكيك تلك المركزية الأوروبية السلبية .

سادساً : أن الكتابة عند "روسو" تعد تابعاً أو ملحقاً للكلام ، وجاء "دريدا" Derrida ورأى عكس ذلك لأن الكتابة هى أصل اللغة ، وأعتقد أن تحليلهما للكتابة لم يكن متوازناً مع اللغة ذاتها ، فالواقع يؤكد على أننا عندما نكتب لا نتكلم ، وعندما نتكلم قد نكتب ما ننطق به ، وقد لا نكتب ، إذاً فعل الكتابة وفعل الكلام لا يمكن وضعهما فى نطاق الـ "قبل" والـ "بعد" أو الأصل أو ألفرع Branch Origin After Before بل ينبغى أن يكونا متوازيان ومتلاقيان فى هدف واحد ، هدف أسمى ألا وهو التعبير Expression وإذا أردنا القول بلفظ الأول والثانى ، أعنى الـ "قبل" ، والـ "بعد" فإننا نأخذ بهما فقط من حيث أن الكلام أسبق فى الاختراع اللسانى من الكتابة .

إن هذه المحاولة فى دراسة فلسفة اللغة تبين عن مدى تأثير خصائص الإنسان وطبيعته وعاداته وعرفه وسيكولوجيته فى تشكيل ماهية اللغة التى يتبادلها ويتواصل عن طريقها .

والله ولى التوفيق

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر الإنجليزية :-

1) Rousseau (J.J.) : Essay on the Origin of Languages – Trans by John H. Moran and Alexander Gode – New York – 1966 .

2) Rosseau (J.J.) : On the Origin of Inequality – Great Books of the Western World – Editor Robert Maynard Hutchins - Chicago – London –1982 .

3) De Saussure (F.) : Cours in General Linguistics – Trans . By Wade Baskin – New York – 1959 .

ثانياً : المصادر الفرنسية :-

- Derrida (J.) : La Dissémination – Paris – 1972 .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :-

1) Harrison (Jonathan) : Hume's Moral Ebistemology – Oxford – 1976 .

2) Ronald (Grimsley) : The Philosophy of Rousseau – London – New York – 1973 .

رابعاً : المصادر المترجمة للعربية :-

1- دريدا (جاك) : الكتابة والاختلاف – ترجمة / كاظم جهاد – تقديم / محمد علال سيناصر – الدار البيضاء – المغرب – دار تو بقال للنشر – 2000 – ط2 .

2- دوسوسير (فرديناند) : محاضرات فى الألسنية العامة – ترجمة / يوسف غازى ، ومجيد نصر – بيروت – دار نعمان للثقافة – 1984 .

خامساً : المراجع المترجمة للعربية :-

1- أونج (والتر ج) : الشفاهية والكتابية – ترجمة / د. حسن البنا عز الدين – مراجعة / د. محمد عصفور – الكويت – عالم المعرفة – العدد 182 – 1994 .

2- بياجيه (جان) : البنيوية – ترجمة / عارف منيمنه ، بشير أوبرى – بيروت – منشورات عويدات – 1982 – ط 3 .

3- رسل (برتراند) : حكمة الغرب – ترجمة / د. فؤاد زكريا – الكويت – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – عالم المعرفة – العدد 72 – 1983 – جـ2 .

4- زيما (بيير ف.) : التفكيكية – ترجمة / أسامة الحاج – بيروت – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – 1996 – ط 1

5- سبيفاك (جايتريا) و نوريس (كريستوفر) : صور دريدا – (ثلاث مقالات عن التفكيك) – ترجمة / حسام نايل – مراجعة وتقديم / ماهر شفيق فريد – القاهرة – المجلس الأعلى للثقافة – العدد 319 – 2002 .

6- كاسيرر (أرنست) : مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال فى الإنسان – ترجمة / د. إحسان عباس – مراجعة / د. محمد يوسف نجم – بيروت – دار الأندلس – 1961 .

7- ماكورى (جون) : الوجودية – ترجمة / د. إمام عبد الفتاح إمام – الكويت – عالم المعرفة – العدد 58 – 1982 .

سادساً : المراجع العربية :-

1- چورجي زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية – القاهرة – دار الهلال – 1969 .

2- د. زكريا إبراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة – القاهرة – مكتبة مصر – 1968 .

3- د. زينب عفيفى : فلسفة اللغة عند الفارابى – القاهرة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – 1997 .

4- د. على عبد المعطى محمد : تيارات فلسفية حديثة – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 1984 .

5- كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة – بيروت – دار النشر للجامعيين – 1956 .

6- د. محمد شبل الكومى : المذاهب النقدية الحديثة (مدخل فلسفى) - تقديم / د. محمد عنانى - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2004 .

7- د. محمود زيدان : فى فلسفة اللغة - الإسكندرية - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - 2003 - ط 1 .

8- د. محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة - القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر - 1978.

سابعاً : الموسوعات الأجنبية :-

- Gralier Academic Encyclopedia – U.S.A – 1986 .

ثانياً : المعاجم والموسوعات العربية :-

1- المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية - القاهرة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - 1979 .

2- المعجم الفلسفى : د. مراد وهبه - القاهرة - دار الثقافة الجديدة - 1979 - ط3 .

3- الموسوعة الفلسفية : د. عبد المنعم الحفنى - بيروت - دار بن زيدون - بدون تاريخ - ط1 .